



مركز سورية للبحوث والدراسات

# التدرج في تنفيذ التشريع الإسلامي بين القرآن والسنة

أ.د/ غسان حمدون

راجع العلامة المجاهد د/ أبو عطيه الوهبي

عضو رابطة العلماء السوريين - حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

## التدرج في تنفيذ التشريع الإسلامي في السنة النبوية

- عن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يلبث الجور بعدي إلا قليلاً حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره) - رجاله ثقات وهو حديث حسن - (١).
- فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل فيه بعشر ما أمر به نجا، وإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كالمقبض على الجمر، وإن العبادة في الهرج كهجرة إلي) - للحديث شواهد يرتقي بها - (٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٩٧٩٧/٢٧/٥) قال أبو حسن عبدالرحمن البنا - رحمها الله تعالى - المعلق عليه في (الفتح الرباني لترتيب سند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني): قال صاحب منتخب كنز العمال: (تفرد به أحمد) الفتح الرباني (٣٢/٤). وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه خالد بن بهمة طهمان، وثقه أبو حاتم الرازي - انظر الجرح والتعديل للرازي (١٥٢١/٣٣٧/٣) وابن حبان في كتابه الثقات (٢٥٧/٦): وقال يخطئ ويهم، وبقيّة رجاله ثقات - معجم مجمع الزوائد (٨٩٩٩/١٩٦/٥) وقد ذهب ابن حجر الهيثمي في أول كتابه (مبلغ الأدب في فخر العرب) إلى أنه حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي إلى قوله صلى الله عليه وسلم (نجا) رقم (٢٢٦٨) ولفقراته شواهد يرتقي بها ولآخره شاهد عند مسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه. ورواه أحمد (١٥٥/٥) - جامع الأصول بتعليق عبد القادر أرنؤوط رحمه الله تعالى (٧٤٥٤/٤/١٠).

# التدرج في تنفيذ التشريع الإسلامي

## بين القرآن والسنة

جاءت الشريعة الإسلامية على تدرج في كثير من الأمور وذلك واضح في الصلاة فقد كانت ركعتين فأقرت في السفر وتَمَّت بالحضر والإقامة، وكذلك الصوم فقد كان في ثلاثة أيام في كل شهر ، ثم فرض الله صيام شهر رمضان. والزكاة كانت على تدرج، وتحريم الخمر كان على مراحل منها أمر الله بقوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" [النساء ٤٣]، فكانوا يشربون الخمر بعد صلاة العشاء، ثم أنزل سبحانه وتعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [المائدة ٩٠] فنُبت تحريم الخمر بنص القرآن.

ولو حاولنا أن نستقصي التدرج في الأوامر الإلهية، لَطال بنا المقال.. ولكن علينا أن ندرك حكمة عظيمة من ذلك وهي إمكانية التنفيذ لأوامر الله بحيث تطيق النفوس الطيبة ذلك ، فتربية النفس هي الأساس في انطلاق الإسلام قديماً وحديثاً.. نحن لا نقول بالرجوع إلى الأحكام المنسوخة بل علينا الالتزام بأوامر الله سبحانه كما تمت أخيراً وصدق الله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [المائدة ٣] فعلى مستوى الأفراد والأسر علينا الالتزام بكل حكم أمر الله به سبحانه وتعالى فالصلاة مفروضة والخمر حرام شرهه.. إلخ من أحكام الإسلام المقررة المحكمة أخيراً.

ولكن التدرج في تطبيق عقوبات الشريعة الإسلامية بالتدرج هو محل بحثنا إذ النفوس الشاردة عن دين الله ولفترات طويلة لا يمكن إلزامها بالشريعة كلها دفعة

واحدة، لأن النفس البشرية كل نفس بشرية لم تتربَّ على الإسلام العظيم تشعر  
بصدمة في تطبيق كل التشريع الإسلامي، فنحن نؤمن بحرمة الخمر وبوجوب تنفيذ  
أمر الله بحد شرب الخمر، ولكن هذا لا يأتي وقته دفعة واحدة لنفوس تربت على  
شرب الخمر التي هي أم الخبائث، فواجبنا تربية الناس على أحكام الإسلام وتربية  
أولاد شارب الخمر وتربية المجتمع كله ، ثم نتقدم لتنفيذ جميع الحدود دون استثناء  
بعون الله تعالى.

إن سنن الكون غالبة، ومن لم يحسب حسابها يتحطم ، ولا يستطيع إثبات وجوده  
بالحياة، ومن تلك السنن الكونية الاجتماعية التدرج في تطبيق عدل التشريع  
الإسلامي والا فلا نصر ولا استمرار.

يا أهل سنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لقد أشار نبيكم صلى الله عليه  
وسلم إلى هذه السنة من سنن الكون، وهي التدرج في كلامه عن عصره وعصر  
الخلفاء الراشدين الذي انتشر به العدل، ثم ذهابه بتدرج، ثم مع قدوم الظلم بتدرج، ثم  
ذهاب الظلم بتدرج، ثم إتيان العدل بتدرج، حتى يسود، ولم يتكلم عن ظلم ينتهي  
فجأة، بل ينتهي بتدرج ليثبت مكانه العدل بتدرج، وإليك حديث رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عن هذه السنة من سنن الحياة ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال:  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يلبث الجور بعدي إلا قليلاً حتى يطلع،  
فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا  
يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب  
من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره) -رجاله ثقات وهو حديث  
حسن - (1).

---

(1) رواه الإمام أحمد (١٩٧٩٧/٢٧/٥) قال أبو حسن عبدالرحمن البنا - رحمها الله تعالى - المعلق عليه في  
(الفتح الرباني لترتيب سند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني): قال صاحب منتخب كنز العمال: ( تفرد به أحمد)  
الفتح الرباني (٣٢/٤). وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه خالد بن بهمه طهمان، وثقه أبو حاتم الرازي - انظر  
الجرح والتعديل للرازي (١٥٢١/٣٣٧/٣) وابن حبان في كتابه الثقات (٢٥٧/٦): وقال يخطئ ويهم، وبقيّة

أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى سنة من سنن الكون علينا أن نتبعها، وإلا فلن نكون في تاريخ نشر عدل الإسلام وتاريخ انتصاره أبداً، إنه التدرج إننا نخاطب بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كل التيارات الإسلامية، بل نخاطب المتدينين المتمسكين بسنة النبي وإلا فلا نصر ولا نشر للعدل ولا انحسار للظلم أبداً، إن نواميس الكون غلبة يا شباب الإسلام يا جنود محمد صلى الله عليه وسلم، فحولوا التيار بتدرج، ووجدوا الصفوف للوصول إلى عدل الإسلام دحراً للظلم رويداً رويداً.

إن المتربصين داخل البلاد الإسلامية والعربية وخارجها أثقلهم ظهور الإسلام بالربيع العربي بل أغمهم ، فخافوا على كراسي عربية عميلة للمستعمرين أعطتهم الثروات، وقاومت الإسلام في أرض الإسلام، فلا يجدون حلاً إلا محاربة كل نتيجة للربيع العربي بأموال عربية وغربية لكي يكسروا راية الإسلام الشامخة في دول الربيع العربي، وليس لهم من طريق إلا التدخل لهدم الاقتصاد والسياسة والاجتماع في دول الربيع العربي الصاعدة والقادمة لنشر الإسلام وعدل الإسلام في العالم كله، وفلول الأنظمة السابقة من كفرة وملحدين ومرتشين جاهزون لاستلام الأموال لتشويش الطريق طريق العدل المتدرج، فلا بد من يقظة إسلامية وعملية تربوية تدرجية لتربية الفرد والأسرة والشعوب على الإسلام بحيث يندفع كل مسلم للامثال إلى أوامر الله سبحانه وتعالى.

وليكن أماننا قاعدة إسلامية فقهية أصيلة: ( نختار أهون الشرين وأخف الضررين) فإما أن يبقى الإسلام بالتدرج، وإما أن يزول من السيادة في المجتمع ، فنختار التدرج في العقوبات الإسلامية. إن هذه القاعدة الفقهية علينا أن نضعها أمام أعيننا في كل

---

رجاله ثقات – معجم مجمع الزوائد (٨٩٩٩/١٩٦/٥) وقد ذهب ابن حجر الهيتمي في أول كتابه ( مبلغ الأدب في فخر العرب) إلى أنه حديث حسن.

عمل سياسي لكي ندفع أكبر قدر ممكن عن الأمة الإسلامية من الأضرار التي يسعى أعداء الإسلام إليها.

لقد كان التدرج واضحاً في تحريم الخمر في التنزيل وأخيراً التزم المجتمع المسلم بالمدينة بأمر التحريم للخمر بأمر الله تعالى بقوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)) [المائدة ٩٠-٩١] فقال الصحابة انتهينا انتهينا ورمى الصحابة بأوعية الخمر في شوارعهم فسالت جداول من هذا الخمر الكثير.

لقد تحمس كحماسكم - يا شباب الإسلام - عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنهما - ابن أبيه وهو الخليفة الأموي بل الخليفة السادس من الخلفاء الراشدين بعد الإمام الحسن ، فقال عبدالملك المتحمس لأبيه الحكيم عمر بن عبدالعزيز : ((يا أبت ، مالي أراك متباطأً في إنفاذ أوامر الله؟! والله ما أبالي لو غلى بي وبك القدر في سبيل الله تعالى)). فأجابه الحكيم عمر بن عبدالعزيز: ((يا بني لا تعجل فإن الله ذم في القرآن الخمر ثم حرمها في الثالثة.. إنني أخاف أن أدفع إلى الحق جملة، فيدعوه جملة، فيكون من وراء ذلك فتنة.. يا بني إن قومك شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعقدوه عروة عروة، فليس من السهل بسرعة نحاول حله.. ألا يسرك أن لا يأتي على أبيك يوم إلا ويحيي فيه سنة ويميت فيه بدعة)).

إن الذي يصدر القوانين بتدرج لامنتال أوامر الله تعالى هو مجلس النواب ومجلس الشورى بدستوره الذي ينشئه، وما على السلطات التنفيذية في مجلس الوزراء ورئاسة الجمهورية إلى التنفيذ للتشريعات المقدمة من مجلس النواب ومجلس الشورى، فالدولة

كلها إذن تقوم على الشورى، وما على رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء إلا التنفيذ لكن بحكمة.

أما العلماء العاملون والدعاة المبصرون والمدرسون وسائر المربين فعليهم واجب التربية الإسلامية للفرد والأسرة والمجتمع، فلكل اختصاصه ولكل طريقه المرسوم فلا فوضى ولا تضارب بين المربين ومؤسسات الدولة الإسلامية بل كل يساعد الآخر.

ولا بد هنا أن ننبه إلى أمر خطير جداً، وهو أن ينشغل العلماء العاملون والدعاة المبصرون والمدرسون وسائر المربين بالسياسة في المجالس التشريعية والتنفيذية في الدولة المسلمة مع تركهم للتربية الإسلامية في الفرد والأسرة والمجتمع، ولو أردت أن أشير إلى أخطاء عملية قاتلة بهذا في بعض الدولة الإسلامية لأشرت ونسأل الله لنا ولهم العفو والعافية من كل الشرور، وندعو الله تعالى لنا ولهم بحسن التربية التي جاء بها الإسلام للمجتمعات التي يحكموها وصدق الله العظيم:

" قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين " الدعوة الدعوة التربية التربية يا دعاة الإسلام ورجاله باتباع محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم والسير على دربه إلى يوم الدين ، يا رب سدّد خطانا اللهم آمين..

ولا بد لنا هنا ونحن نتكلم عن التدرج في تنفيذ أوامر الله في الشريعة الإسلامية لا بد أن نشير إلى خطر أعداء الإسلام وخاصة في بلاد الشام الذين حاولوا الإفساد وبكل سبيل للجيل المسلم، والخطر في الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه

وسلم يقول: ((إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم))<sup>(١)</sup>. فالتدرج ضروري لرفع الفساد عن أهل بلاد الشام بل عن المسلمين جميعاً.

وكأنني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الصابرين في عصرنا، فنحن لسنا صحابة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل فيه بعشر ما أمر به نجا، وإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كالقبض على الجمر، وإن العبادة في الهرج كهجرة إلي) - للحديث شواهد يرتقي بها-<sup>(٢)</sup>.

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لكتابة هذا البحث وأدعو الله أن يتقبل مني كما أدعوه سبحانه أن ييسر لي دعوة صالحة من كل قارئ منصف في حياتي وبعد الممات.. اللهم آمين..

كتبه / أ. د / غسان حمدون

---

(١) أخرجه أحمد (١٥١٦٩/٤٣٦/٣) واللفظ له (١٩٨٥٤/٣٥/٥) قال شعيب أرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين. انظر تعليقه على المسند (١٥٥٩٦/٣٦٢/٢٤)، والترمذي (٢٢٨٧/٣٥٩/٦) تحفة الأحوذى، وقال: هذا حديث حسن صحيح، قال عبدالقادر أرنؤوط في تعليقه وهي كما قال - انظر تعليقه على الحديث في جامع الأصول (٢٠٦/٩)-.

(٢) رواه الترمذي إلى قوله صلى الله عليه وسلم (نجا) رقم (٢٢٦٨) ولفقراته شواهد يرتقي بها ولآخره شاهد عند مسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه. ورواه أحمد (١٥٥/٥) - جامع الأصول بتعليق عبد القادر أرنؤوط رحمه الله تعالى (٧٤٥٤/٤/١٠).